# المتنبي في باريس*

محمد سعيد الصكار

حلم رافق حياته كلها، منذ أن بدأ اهتمامه الأدبي، حتى ظن، في بعض الأوقات، أنه يستطيع على الأقل، كتابة هذا الحلم او مادة روائية او غير ذلك، كان يفضل كتابته سيناريو، ولكن الحلم صار حلمين، الأول هو حلمه بأن يصير كاتباً، وهو لم يكتب ولم ينشر في حياته غير حلول التسليات والمتابعات البسيطة لبعض ما ينشر في الصحف، وكان يظن ان كفاءته الادبية حاضرة دائماً، ومدخرة لوقت الحاجة، وما عليه الا ان يتناول القلم حتى تنهمر النصوص مثل المطر، ولكنه لم يتناوله.

أما الحلم الثاني الذي شغل باله، ومازال يشغله، فهو دعوة المتنبي الى زيارة باريس، واصطحابه في جولة الى المتاحف ومكاتب الكومبيوتر والبنايات الشامخة والمخازن الضخمة وأبوابها الزجاجية الدوارة، والجلوس معه أمام التلفزيون، وملاحظة ما ينطبع على وجهه من الفجاءة والتعجب، حتى أنه، احتراماً لأبي الطيب، كان يخفي مشاعره وهو يرى المتنبي العظيم مبهوراً لا يكاد يصدق مايراه، ويتردد في صعود السلالم الكهربائية، وينشغل تماماً بهذه الحياة العجيبة، فيؤخذ صاحبنا بدهشة المتنبي ويغيب عن باله أن يسأله عن رأيه في شوقي والجواهري وبدوي الجبل، وحال الشعر الحديث وقصيدة النثر.

-إلى أين تذهب بي ياسعيد؟

-أريد أن أريك شيئاً من ملامح الدنيا الجديدة، هذه مقهى الـ(دوماكو) حيث يلتقي أدباء أيامنا الكبار، ويتناقشون في أمور الدنيا.

-المقهى جميل، ولكن الندل مستعجلون، أيكون الأدباء كذلك؟

-كلنا في هذه الأيام يريد اللحاق...

-بمن؟

-ربما بك أو ببودلير أ وشكسبير.

-تريدون اللحاق بمن تقدم؟

-ألم تكن تريد اللحاق بمن تقدمك من الانبياء؟

-أنا؟ كلا، كنت ابن زماني، لم ألحق أحداً.

يتردد أبو الطيب قليلاً ويلقي بيده على كتفي الأيمن ويرسل قدمه إلى عتبة في البساط الكهربائي بحذر وما إن يتوازن حتى تبدو على وجهه ابتسامة ناعمة وارتياح.

-رائع عالمكم هذا، أين نحن الآن؟

-نحن متجهان الى مكتبة فرانسوا ميتيران.

-ومن هذا الميتيران؟

-هذا كان رئيساً لجمهورية فرنسا في أوخر القرن العشرين الميلادي.

-شاعر؟

-لا، ليس شاعراً، ولكنه مثقف، وعلى كال حال هذا غير مهم، ولكن المهم هو ما نحن فيه.

-ما هو؟

-يا أبا الطيب نحن نستقل قطاراً لا يقوده سائق.

- من يقوده إذن، الملائكة؟

-شيء من ذلك، أعني ملائكة هذا الزمان، الكومبيوتر.

-إخرج بي من هذا المكان، أنا لم أفلح مع البشر، ولا علاقة لي بالملائكة.

-ولكنهم في خدمتك، ألست نبياً؟

-بلى، ولكن بدون ملائكة.

في الطريق الى معهد العالم العربي، كان أبو الطيب يعتمر الكوفية العراقية، وأنا الى جانبه في السترة والبنطلون، لم يكن ذلك مثيراً للمارة الذين ألفوا صنوفاً من أزياء العرب المتناسقة والمتنافرة التي تمر في طريق هذا المعهد العربي.

ورغم أنني أشعرت المسؤولين في المعهد بنيتنا زيارته، فلم يكن هناك أي مسؤول لاستقبال شاعر الامة التاريخي ورمز ثقافتها، ولم يكن هناك لا إعلان ولا برنامج للاحتفاء به.

جلسنا في مقهى المعهد وتناولنا القهوة وحيدين، وكان من حسن الصدف أن يمر الصديق فاروق مردم بك، فيرانا جالسين كالسياح الذين يرتادون المعهد يوم الاثنين، فأنس بنا وتبسط بالحديث، واعتذر بأننا وصلنا يوم الاثنين وهو يوم عطلة المعهد.

قال أبو الطيب:

-ألا تضيقون بهذه العلب الزجاجية؟ لماذا لاتزرعون نباتات وأشجاراً، إنها تفتح النفس؟

قال فاروق:

-لسنا في شعب بوان يا أبا الطيب.

-أرأيت شعب بوان؟

وكيف لي أن أراه وبيني وبينه ألف عام؟

-لو رأيته لأمرت بإنشاء مثله.

-وأنى لي ذلك وانت تقول:

أبوكم آدم سن الخطايا وعلمكم مفارقة الجنان

-وأنتم ماذا تفعلون في هذا المعهد؟

-نعرف الافرنج بثقافتنا العربية.

-بها نبطي من أهل السواد يعلم أنساب أهل الفلا

-لست نبطياً يا أبا الطيب، أنا من بلاد الشام.

-أكرم وانعم، لي في بلادكم مآثر لاتمحى، وددت لو حملتموني الى حلب.

قلت معقباً:

-نفيت عنك العلا والظرف والأدبا وإن خلقت لها إن لم تزر حلبا

-إي والله، من القائل؟

-شاعر من زماننا يدعى الأخطل الصغير.

هذا ليس صغيراً، غيروا كنيته.

قال فاروق:

-يا أبا الطيب هل لك ان تلتقي ببعض شعراء زماننا من العرب والافرنج؟ سنهيء لك لقاءاً بهم إذا رغبت.

-وماذا عسى أن أرى وأسمع.

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

في الطريق إلى بيتي حيث دعوت أبا الطيب الى ضيافتي المتواضعة في ضاحية تتبع الحزام الأحمر المحيط بباريس، وهو حزام برعاية شيوعيي فرنسا: قال لي أبو الطيب:

-ماذا تقصد بالشيوعيين؟

-فئة سياسية تريد أن تبني مجتمعاً على الحرية والعدالة.

-وما الذي تفعله أنت؟

-أخط وأرسم وأكتب أشعاراً.

-أن تخط وترسم، هذا من شأنك، وأن تكتب الشعر تذكر قول الحطيئة الكبير:

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لايعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه يريد أن يعربه فيعجمه

أخذت أبا الطيب الى السينما، قلت له هذا فن لم يكن موجوداً في زمانكم، تعال وشاهده فقد يسرك، قال: هلم بنا، فكل ما أراه جديد علي.

وكان من سوء الحظ ان أخذته الى فلم (Orient Xpress)، فما لبث ان هتف بي:

-اخرج، لعنة الله عليكم وعلى أفلامكم وحضارتكم، خذني الى سان ميشيل فقد راق لي ما يفعله الناس على طبيعتهم.

صمت تام لزم أبا الطيب ونحن نطوف في أرجاء مخزن (Galerie Lafayette)، أحد اكبر مخازن باريس، لم يأنس بما رأى، لم يتوقف إلا عند جناح العطور وجناح القرطاسية حيث اقتنى شيئاً مما فيهما.

وإذ فاجأني الأمر، قلت له:

-أهذا للفتاة التي صحبتك في الفلاة؟

صحبتني على الفلاة فتاة عادة اللوم عندها التبديل

-قاتلك الله، ألا تكف عن الفضول!

أراد أبو الطيب أن نعود في يوم آخر الى متحف اللوفر ليستكمل زيارته لهذا المتحف الذي أخذ بألبابه، ولم يخف ضيقه بالمثلث الزجاجي الذي أضيف إلى المبنى التاريخي وإن لم يكن رأه فيما سبق، ولكن رهافته وحسه الجمالي جعله يحس بأن هذا غير ذاك، وأن هناك خللاً في التوازن الفني بين الاثنين.

-يا أبا الطيب، تعال نتمشى قليلاً في أجمل شوارع الدنيا في أيامنا.

-هلم بنا.

-هذا الشارع الفاتن يسمى (الشانزيليزيه).

-وما معنى هذه التسمية؟

-تعني حقول الاليزيه.

-وما معنى هذه الكلمة الأعجمية؟

-رفقاً بي يا أبا الطيب، فلست ضليعاً لا في التاريخ ولا في دلالة الكلمات.

-كان مواطنك الخليل بن احمد الفراهيدي يتقصى دلالة الكلمات، وينطلق من جذورها.

-ولكن هذه لغة أخرى، ذات شروط مختلفة.

-أنت على حق، ولكن يحسن بنا الاحاطة بما نحن بصدده.

-لماذا لا تتمتع الآن بما ترى؟

-المعنى ياسعيد يزيد المتعة.

-أتعلم منك يا أبا الطيب ولكن زماننا يأتي بكثير من الأمور بلا معنى.

-ما هذا؟

- هذه بداية شارع جورج الخامس، ملك بريطانيا القديم، ونحن بالقرب من مقهى ومطعم (فوكيت)، أشهر مواقع الشانزيليزيه.

-جميل وباهر، ولكن أشجاره لاتشبه أشجار شعب بوان.

-طبعاً، فنحن في أمة اخرى، وزمن آخر.

قعدنا في مقهى (جورج سانك، أي جورج الخامس) ورحنا نتطلع إلى المارة يروحون ويجيئون بأزياء متنوعة وفق مودة هذه الأيام، بنطلون جينز، قميص قصير بلا اكمام يظهر السرة ويوحي بما قبلها وبعدها، وأبو الطيب انصرف عني واستغرق بالنظر الى ما يجري خلف الزجاج.

-كيف رأيت هذا المكان يا أبا الطيب؟

-لعنة الله عليك، لماذا حرمتني من هذا المكان وحشرتني في المنطقة الثالثة عشرة، حولني الى هنا.

-هذا شعب (بوان)نا يا أبا الطيب.

-يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار الى الطعان

أبوكم آدم سن الخطايا وعلمكم مفارقة الجنان

-يا أبا الطيب، كنت بعثت إليك ببطاقة منذ زمن، هل وصلت إليك؟

-بطاقة؟ كلا لم تصل، ماذا قلت فيها؟

-ثلاثة أبيات من الشعر.

-قلها.

قلت:

أعد نظراً بما أبقيت فينا من الغرر المحجلة المعاني

فلسنا اهلها وكفاك منا منى في أن نسير الطعان

وطب نفساً فإنك من زمان رحيم كان آخرة الزمان

أخذت أبا الطيب إلى مرسمي القريب من هذا المكان، ورأيته عدداً من لوحاتي التي تتضمن أشعاراً له.

تأملها وتبسم، ولم يقل شيئاً.

خرجت به الى مطعم صيني يقابل مرسمي، أرضيته زجاج، تجري من تحتها ماء تسبح فيها أصناف من الأسماك، وتومض في سقفه نجوم على فضاء ازرق، توقف عند المدخل يتأمل قبل أن يخطو، قال:

-بلقيس! وهذه أرض سليمان!

ثم رفع أطراف ثوبه ومشى الى مائدتنا.

-بماذا يعجبك أن تبدأ غداءك؟

-بقصيدة من شعر هؤلاء القوم.

-من يدري إن كان بينهم شعراء.

-ألا تعرفون شعراءكم؟

في طريقنا الى مخزن (فناك) الذي يختزل الدنيا وما فيها على أقراص مدمجة، توقفنا عند كشك من أكشاك الصحف، تناولت منه صحيفة عربية، تصفحتها، وإذا فيها:

(يؤمل أن يكون مالئ الدنيا وشاغل الناس، المتنبي العظيم، قد وصل باريس في زيارة خاطفة يعقد خلالها أمسية شعرية في معهد العالم العربي، والدعوة عامة للجميع).

أقيمت الأمسية، لم يكن في القاعة غير عدد قليل من هواة التغيير، أغلبهم من الفرنسيين، حتى مسؤولو المعهد لم يحضروا!

---

*تخطيط أولي لمشروع أوسع

## شهادة أديب على عصره

# أنكار فرانكو

خافيير ماريـاس

ترجمة جودت جالي

حين مات فرانكو كان عمري ٢٤ عاما . أن الأنسان أقل أدراكا للفترات السياسية في صغره ولكني منذ نعومة أظفاري سمعت والدي وجدي يتحدثون عن أهوال الحرب الأهلية وأدركت أن والدي لم يكونا ينتميان الى حزب المنتصرين وأن أشياء كثيرة لم يكن ممكنا الحديث عنها بصوت عال أو خارج محيط العائلة، وأن خلافات سياسية كانت بين والدي وبعض أعمامي. سألتهما ذات يوم ونحن نتناول الأفطار، رغم أن الفرح لموت أنسان شيء سيئ، هل سيفرحان لموت فرانكو؟. مازلت أتذكر الرعب الذي أرتسم على وجه أمي لأن الخادمة كانت حاضرة . أشتركت في الجامعة في حدود الأمكان بالتظاهرات وتوزيع المنشورات عارفا بمقدار المجازفة . على كل حال كان واضحا بالنسبة ألي أنه لايمكن توقع شيء غير الخوف والمعاملة السيئة من الفرانكوية وقد كرهتها كرها شديدا .

بخلاف ماحدث بعد الحرب في فرنسا أو أيطاليا أو ألمانيا لم يكن يوجد في أسبانيا شعور بالعار الوطني مماجرته الفرانكوية على الأسبان . لقد كف الفرانكويون بكل بساطة عن أن يكونوا فرانكويين وبكل هدوء حين طاب لهم ودون أي خجل من ماضيهم ، وحتى دون الشعور بالحاجة الى أعلان البراءة ولو شكليا ، ولم يتعرض أي منهم الى المساءلة عما فعلوه خلال دهر الديكتاتورية . لاأقصد المساءلة القانونية فهذه المساءلة لابد منها ولاتقبل النقاش ولكني أقصد في الصحافة على الأقل بالنسبة للعناصر المعروفة بأنتمائها بدلا من السماح لها بأختلاق ( سيرة ذاتية ) خيالية كما هو الحال مع كاميلو سيلا آخر الأسبان الحائزين على جائزة نوبل . قضيته نموذجية أذ أنه هرب من مدريد أبان الحرب الأهلية ليلتحق بالحزب الفرانكوي ويعرض خدماته على الجهاز البوليسي للديكتاتور ليصبح (دليلا) له على أماكن وجود الجمهوريين والتعرف عليهم، وعمل بعد الحرب رقيبا على المطبوعات كما كتب رواية للديكتاتور الفنزويلي بيريز خمينيز ليضع هذا عليها أسمه باعتباره مؤلفها ، ولدي كتاب من سيلا أشتريته من دار للكتب القديمة مهدى بخط يده الى ميلان أستراي ظل فرانكو ومؤسس الفيلق والمعروف بصيحته الشهيرة (يحيا القتل!) . في هذا الأهداء يصف أستراي بأنه (الأب الحبيب) . مع ذلك وحين حدث التغيير جرؤ (سيلا) على أن يدعي أنه قاتل في صفوف الفرانكويين لأن الحرب فاجأته وهو في غاليسه ولم يكن بوسعه غير ذلك . لكنه كان طوال حياته بالعكس يتفاخر بكونه (منشقا) عن الجمهوريين ، وفعل مثل فعله الكثيرون .

ربما لم يكن ممكنا تجنب معاهدة السكوت عن أربعين عاما من الفرانكوية . كان الناس يميلون الى نسيان حقيقة أن فرانكو لم يمت معاقبا بالأعدام ولاسجينا بل مات على فراشه يوم ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٥ وكامل سلطاته بين يديه لم تمس . أن فرانكو الآن بالنسبة الى معظم الأسبان مجهول بشكل لايصدق . سرعان مابدا للناس بعد ستة أشهر من موته لاأكثر كأنه ينتمي الى ماقبل التأريخ ، بعيد وأبعد من بعيد . الرغبة في نسيانه قوية جدا، أصبح ماضيا وأكاد أقول ماضيا مصادرا . لايصدق الشبان اليوم مايقوله لهم الشيوخ عن أهوال الحرب الأهلية وفظائع الديكتاتورية ، لابل ويعتبرون أحاديثهم مبالغة .

ألقي القبض على أبي بعيد الحرب وسجن ثم أطلق سراحه ليعاني طوال حياته من التعقب والتضييق عليه في المعيشة وقد سردت هذا في روايتي (وجهك غدا). بالمقابل قتل أحد أعمامي على يد (الحمر) وهو في السابعة عشرة من العمر دون أن يقترف ذنبا . المهم عندي هي الحقائق التأريخية . كانت توجد حكومة شرعية منتخبة تمرد عليها فرانكو وجنرالاته لأن الشعب لم يقبلهم وفشلوا في جميع أنحاء البلاد فشنوا حربا أهلية بمثابة عقاب للشعب . أذا كان معظم المجتمع قد رغب في النسيان فلأنه بعد الحرب تعاون مع النظام غير الشرعي . نتيجة هذا التناسي هو عدم وجود وعي حقيقي وعميق وواقعي عند الأجيال اللاحقة بكون الفرانكوية شريرة ومدانة . لنقل أن جيل الديكتاتورية لم يكن يعتبر شرها شره هو ولذلك لم يسقط فريسة للشعور بالعار . أدى بقاء عناصر النظام بعد التغيير الديمقراطي متنفذة أجتماعيا وحتى في العديد من مواقع المسؤولية الحزبية والحكومية الى عدم تصفية العقلية الديكتاتورية الراسخة في سايكولوجيا المجتمع. لم يجرؤ أحد على رفع تمثال فرانكو من قلب مدريد وقد تم ذلك ليلا وسرا فثارت ثائرة حتى اليسار وأعتبر رفعه أجراء أستفزازيا يفتح جروح الماضي وأستنكرته كل الصحف ماعدا صحيفة (البايس). لدينا فرانكوية أجتماعية قوية.

لقد عايشت الفرانكوية فترة تغنيني عن القراءة عنها فأنا أعرف أنها برجوازية صغيرة غبية ومصابة بداء العظمة كما أنها لاتجذبني كموضوع روائي يستحق الكتابة ، وأذا لم تظهر لحد الآن رواية عظيمة عن تلك الحقبة فليس في هذا خسارة للأدب ولأسبانيا . بعض الروايات ، بمعنى من المعاني ، تمنح نبل الحروف الى شيء لايستحق هذا النبل.

فرانكو

* ولد خافيير ماریاس في مدريد عام ١٩٥١ وهو واحد من أعظم الكتاب الأسبان المعاصرين . له عمود ثابت في صحيفة (البايس) . كتب أحدى عشرة رواية منها (الرجل العاطفي) و (قلب في غاية البياض).

## من المكتبة العربية

### التشكلات المبكرة للفكر الإسلامي

تأليف :د.عبد الحكيم أجهر

المركز الثقافي العربي / بيروت

يذهب بعض الدارسين والمفكرين إلى اعتبار علم الكلام، والفكر الكلامي عموماً، فكراً نسقياً وناجزاً منذ البدء، فيما يعتبره آخرون مجرد فكر لاهوتي، تتوقف حدوده على القضايا الدينية والعقدية فقط. وإن كان علم الكلام يبحث في الأدلة اليقينية المتعلقة بالعقيدة الإسلامية، وهي أدلة مبناها العقل المستند إلى المنطق أساساً، في كتابه ؟التشكلات المبكرة للفكر الإسلامي؟. يعتبر الدكتور عبد الحكيم أجهر وهو أستاذ العقيدة المساعد في جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، أن علم الكلام تجاوز حدود اللاهوت، وخطا في اتجاه تأسيس نفسه كفكر ينهض على العقل، مع أن العقل في هذا الخصوص يبرر الوحي ويبقى لصيقاً به إلى حد التلازم معه، باعتباره - بداية - قوة تبرير لقضايا الوحي. لكنه لم يروض ولم يرضخ كلياً، بل سرعان ما كان يمارس عقلانيته ويصبح فاعلية لا تقتصر على حدود التبرير، بل يتجاوز هذه المهمة لدى العديد من الفرق الكلامية.

### مقامات بغدادية

تأليف :سحر طه

الناشر: رياض الريس للكتب والنشر بيروت ٢٠٠٦

سحر طه لبنانية،عراقية الأصل، ناقدة وفنانة موسيقية، أحيت أمسيات غنائية في عدة عواصم عربية وأجنبية، وشاركت في عدة مسابقات موسيقية لبنانية وعربية كعضو لجنة تحكيم، كما أصدرت ألبومات موسيقية: بغداديات مع عمر بشير (بيروت ٢٠٠١)، مهرجان الموسيقى الأندلسية (دمشق ٢٠٠٢)، أغنيات من التراث العراقي (هنغاريا ٢٠٠٣)، جولة اليمن، أغاني غونتر غراس (ألمانيا ٢٠٠٤). وعلى امتداد السنوات الأخيرة، ملت صوتها وراحت تغني مقامات الحزن في عراقها الجريح، مقامات الألم والدمع والمعاناة، دون أن يتزعزع إيمانها بأن الأوطان لا تموت، مهما تجبر الغزاة. لهذا تكتب عن تراجيديات الحزن البغدادي، في كتابها الجديد (مقامات بغدادية/ من يوميات الاحتلال الأميركي للعراق) الصادر مؤخراً عن دار رياض الريس للنشر ببيروت، وتعلق على الكثير من المشاهد الإخبارية التي غطت الأحداث طوال فترة ما قبل الحرب وأثناءها وحتى لحظة احتلال بغداد بدخول القوات الأميركية والبريطانية، وما تبعها وبداية رحلة آلام جديدة لم تنته بعد.

### الخاكية: من أوراق الجريمة الثقافية في العراق

المؤلف: عباس خضر

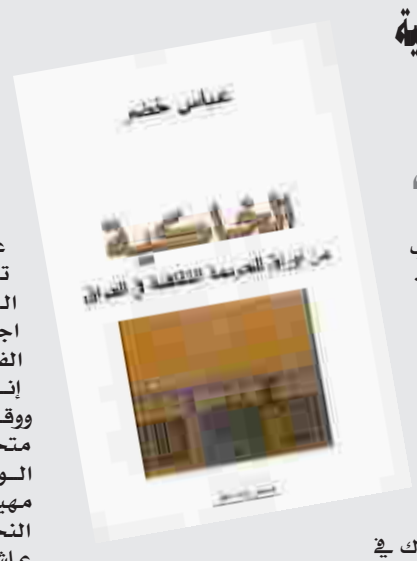

هذا الكتاب عن أدب ولد من رحم الحرب . وساير المؤسسة . ومثل مضامينها . وليس كل أدب . إنما أدب عراقي وعربي . ولد خلال حقبة الحرب العراقية الإيرانية في إعلام السلطة القائمة آنذاك في العراق.نتتبع في قراءتنا مصادر هذا الأدب . مراجعه. مضامينه . تحولاته وقيمه .. بعضها انطباعات تسعى الى توثيق نصوص من تلك الحقبة وتكشف الزيف والتشوه الثقافي بأشكاله الأدبية . تزييف الحقيقة أو تشويه القيمة . إنه متابعة لنص حقبة وأحيانا يتابع اللاحقة لها .

### التاريخ والعجيلي

تأليف :محمد جدوع

الناشر: دار الفرقد. دمشق ٢٠٠٦

محمد جدوع كاتب وباحث سوري، استهوته الحياة الأدبية والسياسية لمواطنه الدكتور عبدالسلام العجيلي، فرأى أن أسرته تنتمي إلى عشيرة ؟البوبدران؟ بعدما قدمت من الموصل لتستقر في الرقة. وهذه العشيرة تتحدر في أصولها، كما يقول العجيلي نفسه، إلى (آل البيت من أبناء الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام). وقد شاركت أسرة العجيلي بشكل فعلي في تأسيس دولة الرقة التي أعلنت عن قيامها الحركة الوطنية التي تشكلت فيها بعد اجتياح الجيوش الفرنسية لسوريا إثر إنذار الجنرال غورو، ووقوف الأسرة جميعها متحالفة مع زعيم الحركة الوطنية ؟حاجم بن مهيد؟ شيخ قبيلة عنزة النجدية، هذه الدولة التي عاشت كما يؤرخ العجيلي نفسه من ١٠ أغسطس ١٩٢٠ حيث أصدرت الحركة هذه بيانها الذي وعدت فيه أن تحكم الرقة حكماً ديمقراطياً.